MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 13-3-97
Photo No. : 50

العضّ على الأصابع

ما يجري بين الحكومة الاسرائيلية والسلطة الفلسطينية هذه الأيام لا يقارن إلا بلعبة العضّ على الأصابع. بالطبع عندما يُفتقد التوازن ويغيب الرادع، تجري اللعبة وفقاً لقواعد غريبة، أي أن كلا الطرفين يعضّ على أصابعه، لكن الوجع يقتصر على أحدهما. انه الوجع الفلسطيني المتجدّد أبداً، كما في الحرب كذلك في السلام. ومع ذلك، يبقى للسؤال معنى: من سيصرخ «آخ» قبل الآخر؟

بتعبير آخر، لا يعني امتلاك اسرائيل القدرة على فرض الأمر الواقع في القدس انها ستكون بالضرورة الرابحة في لعبة التهديد بوقف المفاوضات. وهذا كان اصلاً رهان الرئيس ياسر عرفات عندما ردّ على تهديد وزير الخارجية الإسرائيلي ديفيد ليفي خلال لقاء الأخير مع أبو مازن بأن طلب استقالة مهندس اتفاق اوسلو.

بالتأكيد، ليست استقالة ابو مازن اعتذارا عن اتفاق اوسلو. وهي ليست للاستهلاك الداخلي الفلسطيني، وان يكن بمقدور ياسر عرفات ان يوظّفها في هذا المجال اذا تفاقمت الأمور. انها رسالة موجهة بشكل واضح الى الخارج، ومفادها ان السلطة الفلسطينية مستعدة بدورها لوقف المفاوضات، ما لم تغيّر اسرائيل سياسة الأمر الواقع التي تسعى من خلالها الى استباق مباحثات الوضع النهائي. بهذا المعنى، توازي استقالة ابو مازن العلنية (حتى لا نقول الاعلانية) تهديد ياسر عرفات بترك غزة والاقامة في القاهرة عندما كانت حكومة اسحق رابين تماطل في تنفيذ اتفاق الحكم الذاتي، كما اكد ذلك الرئيس المصري حسني مبارك قبل أيام.

في كلا الحالين، تستحق المفارقة التوقف عندها. اذ كيف يكون الطرف الأضعف في عملية تفاوضية مستعدا للمخاطرة بهذه العملية. أيكون دافعه اليأس فحسب؟ أم ان ذلك يعني انه ليس بالضعف الذي يصورون؟

صحيح ان السلطة الفلسطينية ليست (ولن تكون) في وضع متكافئ مع اسرائيل، لا في ميزان القوى، ولا لجهة الدعم الخارجي. لكنها اكتسبت قدرة اكيدة على تعويض عدم التكافؤ المادي بتوازن سياسي. سلاحها في ذلك الاستعصاء الفلسطيني السابق على المفاوضات، والذي حوّل احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة مسألة خلافية في المجتمع الاسرائيلي، والذي صار اليوم، وبفعل الحكم الذاتي، مصدر قلق امني في اسرائيل. فقد دلّت الاحداث الدامية الناجمة عن قضية النفق في الخريف الماضي على ان الانتفاضة التي قد تندلع في اراضي الحكم الذاتي، في ظل الوجود العسكري الفلسطيني، ستخلق مشكلة اسرائيلية كبرى على المستويين الاهلي والعسكري، وانه لن يكون سهلا التعايش معها كما حصل في النهاية مع انتفاضة ١٩٨٨. ففي ما خلا اعادة احتلال مدن الضفة، وهو الأمر الذي يرفضه اركان الجيش الاسرائيلي، لا يملك رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو حلا جديا لوضع حدّ نهائي لأي انتفاضة جديدة. هذا فضلا عن التحول الذي طرأ على صورة الفلسطينيين في الغرب والذي من شأنه (وعلى رغم "الفيتو" الأميركي الأخير) تكبيل ايدي الحكومة الاسرائيلية، في حال ارادت التصعيد ميدانيا ضد الحكم الذاتي.

ما المعنى اذاً من التهديد الاسرائيلي؟ في حساب العلاقة الفلسطينية–الاسرائيلية، لا معنى جديا. المعنى يُبحث عنه في مكان آخر: في الأزمة السياسية التي يتخبّط فيها نتنياهو لكثرة ما أثار من تناقضات داخلية. لكن الهروب الى الأمام سيحدث ازمة اكبر لن يقوى عليها نتنياهو الا بشرط واحد: أن يتعدى التوتر الساحة الفلسطينية فيفذي تصعيدا آخر. على الجبهة السورية هذه المرة.

سمير قصير